



شرح إيقونة مصالحة أولاد إبراهيم كنيسة دير القيامة الروضة - بيروت

لماذا موضوع المصالحة؟

كُلُّ كنيسة هي مكانٌ لمصالحة الإنسان مع نفسه ومع الله والقريب.
وكنيسة القيامة في الروضة، بالإضافة إلى دعوتها ككلِّ كنيسةٍ أخرى، فإنَّها لم تُبنَ، إلَّا تلبيةً لرسالةِ
مُصالحةِ البشريَّةِ الشاملة، تؤدِّيها انطلاقًا من:

- الصلاة اليوميَّة، نرفعها على نيَّةِ كلِّ البشر، ليعوَا أئمُّهم أُسرهُ الله؛
- الصلاة المسكونيَّة، نحيها دوريًّا مع كنائسٍ أُخرى لأجلِ وحدةِ المسيحيِّين؛
- الصلاة خصوصًا لأجلِ مصالحةِ أولادِ إبراهيم بالإيمان، اليهودِ والمسيحيِّين والمسلمين، الذين يتصارعون من أجيالٍ فيما بينهم بسببِ انتماءاتهم الدينيَّة.

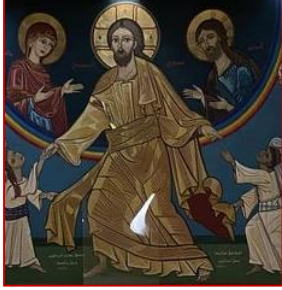
إيقونة مصالحة أولاد إبراهيم

هذه الإيقونة، تؤكدُ أنَّ البشر لا يُمكنُهم أن يتصالحوا ويلتقوا فيما بينهم، إلَّا انطلاقًا من المسيح يسوع، الذي هو «صورةُ الله الذي لا يرى، وبكرُ كلِّ خليفة... وكلُّ شيءٍ خُلِقَ به وله» (كو ١: ١٥-١٦)، والذي «به قِوامُ كلِّ شيء... ورأسُ الجسد». وقد حَسُنَ لدى الله، أن يُصالحَ به ومن أجلِهِ كلُّ موجودٍ ممَّا في الأرض وممَّا في السماوات» (كو ١: ١٧-٢٠). كيف لا، وقد «جاءَ وبشَّرنا بالسلام، نحن الذين كُنَّا أباعد، وبَشَّرنا بالسلام الذين كانوا أقارب، لأنَّ لنا جميعًا به سبيلًا إلى الأب في روحٍ واحد» (أف ٢: ١٧-١٨)، هو الذي «لا يستحي أن يدعونا نحن البشر إخوة» (عب ٢: ١٠)، كونهُ «قد جعلنا أقاربَ بدم صليبه» (أف ٢: ١٣).

هذه الإيقونة تُمثِّلُ يسوع المسيح الناهضَ من بين الأموات، ومن حوله عن يمينه ويساره والدته العذراء مريم والقديس النبي يوحنا السابق والمعمدان، وعن يمينه سارة امرأة إبراهيم تُقدِّمُ أبنتها إسحق فيمسك طرف ثوب يسوع، وعن يساره هاجرٌ جاريةُ إبراهيم تدفعُ بآبنتها إسماعيل ليُمسكَ بثوب يسوع.

أما تفصيل معاني الإيقونة فهو التالي:

الرب يسوع المسيح: ناهضًا من بين الأموات، يقف في الوسط، لأنه أصل ومحور الوجود كله، و«هو الذي من أجله كل شيء وبه كل شيء» (عب ٢: ١٠). منه يستمد الجميع معنى وجودهم. الذي بعد تألمه



وموته، قام من بين الأموات، فهو «الذي قام لنصرة نسل إبراهيم» (عب ٢: ١٦) يمد يديه القويتين، اليمنى في اتجاه إسحق، ابن المرأة الحرة وآين الموعد، «الذي به يكون لإبراهيم نسل باسمه» (تك ٢١: ١٢)؛ والأخرى، أي اليد اليسرى، في اتجاه إسماعيل أخيه، ابن المرأة الأمة، «الذي جعله الله هو أيضًا أمة عظيمة لأنه نسل إبراهيم» (تك ٢١: ١٣). وكأنا من خلال هذا المشهد نرى مصالحة الأخوين، اللذين غرّبهما البغض والكبرياء الواحد عن الآخر، يتصالحان في المسيح يسوع، جامع المشتتين.

الني يوحنا السابق والمعمدان: خاتمة أنبياء العهد القديم جميعًا، الذين لم يظهروا في التاريخ، إلا ليعلنوا خلاصه ويُعدّوا السبيل لظهوره، ولم يتكلموا إلا ليُبشّروا بكلمته الهادية والخلاصية. إن يوحنا هو خاتمة العهد القديم، وتتويجه بالإشراق، وذلك بالاستقامة والبرارة والقداسة البيّنة. كيف لا وهو نسيب العريس الأقرب لا حسب الجسد فحسب، بل روحياً، كونه عرف أن يكون صديقه

الوفاي والغيور، إنطلاقاً من مبدأ ثابت وواضح، مفاده: «إنه يقف يستمع إلى العريس، ويفرح أشد الفرح لصوت العريس. وفرحه قد تم. ولا بد للعريس من أن يكبر ولا بد له، هو يوحنا، صديق العريس، أن يصغر، كون العريس يأتي من عل وهو فوق كل شيء بينما هو يأتي من الأرض وهو أرضي» (يو ٣: ٢٩-٣١). أجل،



ليوحنا الحق بأن يقف عن جانب المسيح، ليس فقط لأنه نسيبه الأفضّل والأقرب، نسيبه بالروح القدس، الذي حرّكه شطر يسوع ودعماً لرسالة يسوع الخلاصية. فدلّ إليه عدّة مرّات، بوضوح لا مثيل له، قائلاً: «إني لست المسيح، بل مرسل قدامه» (يو ٣: ٢٨). «هوذا حمل الله، الذي يرفع خطيئة العالم. هذا الذي قلت فيه: إنه يأتي بعدي رجل قد تقدمني، لأنه كان من قبلي... وأنا ما جئت إلا لكي يظهر أمره لإسرائيل... وأنا رأيت وشهدت أنه هو ابن الله» (يو ١: ٢٩-٣١ و٣٤). أجل، ليوحنا الحق بالوقوف عن جانب يسوع، لأنه ممثله بالبرّ ومنافسه بالحق، وقد نودي به مثل يسوع بقوة، وعلى غرار يسوع مات بجراً لأجله.

العذراء مريم أم يسوع، والدة الإله: تقف هي أيضاً إلى جانب يسوع يمينه. فإن كان يوحنا خاتمة العهد



القديم، فهي فاتحة العهد الجديد، وباكورة ثماره، لا بل أفضلها، وأكثرها جودة وطيباً ورونقاً. كيف لا ولنا بها، من أحشائها المثمرة، ملء الخصب، الثمرة الإنسانية/الإلهية، اللذيذة، التي طيّبت وجودنا حتى نالت له الرضا الإلهي، وأعادت إليه معناه وبهائه، وصوّبت دعوته، بفضل انتصار بنوّتنا الحق في بنوّته الإلهية الناجحة. ولأنها أم يسوع، فلها الحق/الواجب أن توجد حيث يوجد هو، لتمارس دورها إلى جانبه، كما له ولنا به، لتحتضننا كما احتضنته، وتدُلنا إليه كما دلّت خدام عرس قانا إليه قائلة: «مهنا قال لكم

فأفعلوه» (يو ٢: ٥). إنَّها حوَاءُ الجديدة، التي تُحيي الأمومة الحوَّائيَّة بفضلِ نجاحِ أمومتها الباهر، ليسوعَ وفي حياةِ يسوع. إنَّها حوَاءُ وقد نجحتَ بخلاصِ آبنها للدعوةِ الأصليَّة، التي تُحوِّلُها لتكونَ أصلَ البشريَّةِ الحقِّ، الذي ينمو في آتجاهِ الأبِ السماويِّ والحياةِ الأبديَّة. بها وبيوحنا يتتَّوَّجُ العهدانِ ويتعانقان، وكأنتهما مُفترَين وُجودياً ومَصيرياً، لمجدِ اللهِ ولخيرِ البشريَّةِ جمعاء.

قوسُ قزح بألوانه الجميلة: الذي ظهر لنوح من بعد الطوفان، «علامة العهد الذي أقامه اللهُ وجعله

نفسِ حيَّةٍ مدى الأجيال جسدٍ على الأرض» (تك ٩: الإيقونة، وكأنَّه شعاعُ محبَّةٍ بالعهد القائم ما بينَ اللهُ والبشر، ليظلَّ رمزاً لرجائهم



بينه وبينَ البشر وبين كلِّ ذي للأبد، بين اللهُ وبين كلِّ ذي (١٢-١٣ و١٧). يرتسمُ في وسطِ اللهُ وهالهُ مجده، ليُدكِّرهُ والبشر. كما أنَّه يبدو أمامِ القائم في قلب كلِّ إنسان، بأنَّ اللهُ لا يهلكُ أحداً، وأنَّه «لم يُرسلِ آبنه إلى العالمِ ليدينَ العالم، بل ليُخلِّصَ العالم» (يو ٣: ١٧).

يُمسكُ يسوعُ بيده اليمنى يمين إسحق، بينما يسارُ هذا الأخير تتمسكُ بثوبِ يسوعَ وأمِّه سارة، امرأة



إبراهيم الحُرَّة، أبي الآباء، تدفعُهُ بل تُقدِّمهُ إلى التمسكِ بَمَن هو كمالُ الناموسِ والأنبياءِ وخلصِ العالم. هذا المشهد يردُّنا إلى الشَّعبِ اليهودي، الذي لا تكتملُ دعوتهُ إلَّا بإفضائه على حقيقةٍ وشخصيَّةٍ وإنجيلِ المسيح يسوع.

ومن خلف سارة وإسحق نرى خيمةً وبلوطة، حيث تمَّ لقاء إبراهيم

بالبزائرين الثلاثة، الذين أخبروه عن مولدِ آبنِ الموعدِ إسحقَ من سارة (تك ١٨: ١-١٥). الخيمةُ ترمزُ إلى الهيكلِ ومن خلاله إلى الكنيسة، والبلوطةُ إلى شجرةِ الحياةِ والإثمار. إننا في قلبِ نظامِ النعمةِ والوفرةِ والأزدهار.

أمَّا يدُ يسوعِ اليسرى فتتمتدُّ في آتجاهِ إسماعيل، الذي يمدُّ يدهُ اليسرى ولكن من دون أن يتمكَّن من التمسكِ

بها، بينما يمدُّ يدهُ اليمنى ويقبضُ بها طرفَ ثوبِ يسوع، للدلالة عن شوقه إليه، رغم كلِّ العوائق، الاجتماعيَّة والعريقيَّة والقبليَّة، التي تحولُ دون آتجاهه به.

من خلف إسماعيل وهاجر أمِّه، الجاريةُ المصريَّة، نرى بئر ماء، «بئر الحَيِّ

الرائي» (تك ١٦: ١٤)، التي ترمز إلى «قربة هاجر، التي أعطاهَا إبراهيمُ لجاريته»

(تك ٢١: ١٤)، والتي شربَ منها ولدُها، فنجا من الموت. وهذا المشهد يُدكِّرنا بما

ورد في سفر التكوين، إذ «نادى ملاكُ الرَّبِّ هاجرَ مِنَ السَّماءِ وقالَ لها: لا



تخافي، فإنَّ اللهُ قد سَمِعَ صَوْتَ الصَّبيِّ... فَإِنِّي جاعِلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً» (تك ١٧: ١٨).

إِسْحَاقُ وَإِسْمَاعِيلُ، الأخوانِ العِدْوَانِ، يَسْتَرْجِعَانِ بِيَسُوعَ أُخُوَّتَهُمَا، وَبِقُوَّةِ قِيَامَتِهِ تَتَجَدَّدُ حَيَاتُهُمَا وَأَصْلُهُمَا وَدَعْوَتُهُمَا، كَوْنَهُ يَرِيبُ ذَاتَهُ بِهِمَا، وَمِنْ خِلَالِهِمَا، بِكُلِّ الْمُنْتَمِينَ إِلَيْهِمَا قَوْمِيًّا وَدِينِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا، أَيِ الْيَهُودِ وَالْمُسْلِمِينَ عَامَّةً وَالْمُسْلِمِينَ يَرِيبُهُمَا آرْتِبَاطًا قَوِيًّا وَيُنْهَضُ وَيُجَدِّدُ وَيَتَّبَعِي آرْتِبَاطُ بِحَيَاتِهِ الْمُحْيِيَّةِ سُلْطَانِ الْمَوْتِ، الْمُتَحَكِّمِ



إِسْحَاقُ وَإِسْمَاعِيلِ، وَوَالِدَاتُهُمَا، يَنْظُرُونَ إِلَى يَسُوعَ نَظْرَةَ الرَّجَاءِ وَالشُّوقِ وَالْفَرَحِ، كَيْفَ لَا وَهُوَ مَوْضِعُ الرَّجَاءِ وَالسَّعَادَةِ، وَغَايَةِ الْوُجُودِ، هُوَ الْمَبْدَأُ وَالْغَايَةُ؟ وَكَيْفَ لَا «وَبِهِ قِيَامُ كُلِّ شَيْءٍ. إِنَّهُ رَأْسُ الْجَسَدِ. وَقَدْ حَسُنَ لَدَى اللَّهِ أَنْ يُصَالِحَ بِهِ وَمَنْ أَجَلُهُ كُلِّ مَوْجُودٍ، مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَمِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ» (كو ١: ١٧-٢٠).

خِلَاصَةٌ رَاعِيَّةٌ لَا بُدَّ مِنْهَا

إِقْوَانَةُ مَصَالِحَةِ أَوْلَادِ إِبْرَاهِيمَ بِالْإِيمَانِ، الْيَهُودَ وَالْمَسِيحِيِّينَ وَالْمُسْلِمِينَ، هَذِهِ تَدْعُو الْمَسِيحِيِّينَ، بِسَبَبِ انْتِمَائِهِمُ الْعُضْوِيِّ إِلَى الْمَسِيحِ؛ وَالْيَهُودَ بِسَبَبِ انْتِظَارِهِمُ اللَّاهِفُ وَالْمُبْتَهَلُ لِكَيْ يَأْتِيَ الْمَسِيحُ، وَقَدْ أَتَى وَهُمْ يَتَنَكَّرُونَ أَوْ يَتَجَاهَلُونَ أَوْ يَجْهَلُونَ مَجِيئَهُ؛ وَالْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَسِيحٍ مُنْتَقَصِ الْهَيُوتَةِ وَالْقِيَمَةِ وَالرَّسَالَةِ، إِلَى الْإِلْتِفَافِ مِنْ حَوْلِهِ أَحَا أَكْبَرَ، أَبْنَا لِلَّهِ وَلِلْإِنْسَانِ، قَادِرًا أَنْ يَرِثِي لِحَالِهِمْ جَمِيعًا وَيُصَالِحَهُمْ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، إِذْ «إِنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَدْعُوهُمْ إِخْوَةً» (عب ٢: ١١) بِمَصَالِحَتِهِمْ جَمِيعًا مَعَ اللَّهِ أَبِيهِمْ.

الأب جوزف هَلِيْط

دير القِيَامَةِ - الرُّوْضَةِ

فِي ٢٥ تَمُوز ٢٠٠٣